كـلـمـة الـعـدد

إيناس عودة- حاجّ*

أصبح الحديث عن تكريس هيمنة اليمين في الانتخابات الإسرائيليّة، وغياب ما يسمَّى اليسار الإسرائيليّ، أمرًا شبه مفروغ منه في السنوات الأخيرة، ويكون السؤال المركزيّ عشيّة كلّ انتخابات هو حول توزيع المقاعد بين الأحزاب اليمينيّة وتركيبة الائتلاف الحكوميّ، وسط ذوبان الفوارق بين أحزاب اليمين واليسار والتي كانت تُحدَّد تاريخيًّا في إسرائيل بحسب مواقف تلك الأحزاب من القضايا السياسيّة والأمنيّة من جهة، وتوجّهاتها الاقتصاديّة من جهة أخرى.

لعلّ من أهمّ مميّزات الحملة الانتخابيّة الأخيرة هو انتقال أجِنْدتها من العامل "الخارجيّ"، المتمثّل بالقضايا السياسيّة الكبرى (كالموقف من الصراع الفلسطينيّ الإسرائيليّ -على سبيل المثال)، إلى العامل "الداخليّ" المتعلّق بقضايا اجتماعيّة اقتصاديّة داخل المجتمع الإسرائيليّ. لا يعني ذلك انخفاضًا في أهمّيّة العامل الأوّل لصالح الأخير، بقدر ما يعكس إجماعًا داخل المجتمع اليهوديّ والأحزاب الصهيونيّة حول سُبُل التعامل مع ما يسمّى بالتهديدات الخارجيّة.

لقد هيمن على الحملة الانتخابيّة شعار "تقاسم العبء" الذي رفعه حزب "يوجد مستقبل" ("يش عتيد") برئاسة يائير لبيد. ورغم أنّه قد يبدو -ظاهريًّا- موجَّهًا إلى اليهود المتزمّتين (الحريديم)، فإنّه يرمي كذلك إلى إعادة صياغة العلاقة بين الدولة والمواطنين العرب من خلال تحديد إطار شرعيّة المواطنة الإسرائيليّة، وإخراج كلّ مَن لا يشارك في هذا "العبء" خارج إطار هذه الشرعيّة. إنّ فوز الحزب الذي تبنّى هذه المقولة بتسعة عشر مقعدًا، ليكون القوّة الثانية في الكنيست، هو استمرار للقفزة التي حقّقها ليبرمان في الانتخابات الماضية من خلال إطلاق شعار "لا مواطنة دون ولاء"، ذاك الشعار الذي وُجِّه صراحة وجهارًا نحو نزع الشرعيّة عن المواطنين العرب الذين

لا ينضوون تحت مظلّة الإجماع الصهيونيّ. هذا الأمر يؤكّد -وإن غاب "العدوّ الخارجيّ" عن الأجِنْدة الانتخابيّة- أنّ "العدوّ الداخليّ" المتمثّل في المواطنين العرب يبقى حاضرًا فيها.

أمّا على مستوى المواطنين العرب، فرغم أنّ نسبة التصويت سجّلت ارتفاعًا طفيفًا عن الانتخابات الماضية لتصل إلى نحو 57% (مقابل نحو 54% في العام 2009)، يبقى المعطى المركزيّ أنّ قُرابة نصف أصحاب حقّ الاقتراع العرب يختارون عدم المشاركة في الانتخابات. ورغم وجود تفسيرات مختلفة لعدم المشاركة، فإنّه -وَفقًا للاستطلاع الذي أجراه مركز مدى الكرمل قُبَيْل الانتخابات- يعتقد نحو ثلثي المستطلَعين أنّ ثمّة أهمّيّة بالغة حتى بالغة جدًّا لوجود أحزاب عربيّة في الكنيست رغم أنّ التقييم العامّ لأداء الأحزاب العربيّة وتحصيل الإنجازات كان دون المتوسّط بقليل. هذا التناقض الظاهريّ يعكس، في اعتقادي، حالة من التخبّط لدى الناخبين العرب؛ فهُمْ يدركون محدوديّة تأثير الأحزاب العربيّة في الكنيست، غير أنّهم -من جهة أخرى- لا يرغبون في ترك الساحة البرلمانيّة بدون مشروع بديل، وبخاصّةٍ لِما لنتائج الانتخابات لدى المجتمع اليهوديّ المنحرف يمينًا على نحوٍ منهجيّ ومتزايد من نتائج وتداعيات على أوضاعهم ومكانتهم السياسيّة.

يُخصَّص العدد الحاليّ من "جدل" لقراءة نتائج الانتخابات البرلمانيّة الأخيرة، دلالاتها وإسقاطاتها على المجتمعَيْن اليهوديّ والفلسطينيّ في إسرائيل. على مستوى المجتمع الإسرائيليّ، يناقش د. مهنّد مصطفى الدلالات السياسيّة والخلفيّات الاجتماعيّة لفوز حزب "يوجد مستقبل" برئاسة يائير لبيد ويقول إنّه حزب الطبقة الوسطى والعليا الإسرائيليّة وإنّ "خطابه الاقتصاديّ لم يشدّد على دعم الطبقات المهمّشة والضعيفة في المجتمع الإسرائيليّ، بل على مساندة الطبقات الوسطى العليا". ويرى البروفيسور أمل جمّال أنّ الجديد في نتائج الانتخابات يتمحور في الأشخاص لا في تبدُّل المواقف والسياسات، حيث إنّ "الخطاب "الناعم" الذي يتفوّه به يائير لبيد وجماعته، وخطاب "الأخويّة" الذي يتحدّث به نفتالي بينيت، ما هما إلاّ غطاء معسول لسياسات تبقى رهينة المعادلة السياسيّة المهيمنة". أمّا الكاتب أنطون شلحت، فيتطرّق إلى تداعيات نتائج الانتخابات على مستقبل العمليّة السياسيّة، أو ما يسمَّى عمليّة السلام، ويرى أنّ "المؤسّسة السياسيّة الإسرائيليّة مستمرّة في تطبيق المدلول الحقيقيّ لِـ "إرث أوسلو"، ولا سيّما تشديده على وجوب أن تكون أيُّ تسوية للصراع مستندةً إلى تلبية "حاجات إسرائيل الأمنيّة" بموجِب مفهومها لهذه الحاجات".

على مستوى المجتمع العربيّ، يقدّم الباحث امطانس شحادة اقتراحًا لإطار تحليليّ أمبيريّ لدراسة السلوك الانتخابيّ للفلسطينيّين في إسرائيل، وذلك من خلال عرض نتائج استطلاع "مدى الكرمل" فيما يتعلّق بأنماط التصويت لدى المواطنين العرب. ويرى السيّد شحادة أنّ الناخب العربيّ "يختار بين الأحزاب العربيّة على أساس أدائها القوميّ وتقييم كفاءات القيادات، لا على أساس إمكانيّة تقديم الأحزاب إنجازات ماديّة عينيّة، دون أن نلغي أهمّيّة هذا الجانب بالمطلق". وتستعرض السيّدة منال شلبي نتائج استطلاع آخر أُجريَ في جامعة حيفا حول تأثير الشعور بالتهديد من الصراع المستمرّ على أنماط التصويت واختلافاتها بين المواطنين العرب واليهود، حيث تقول إنّه "من المتوقّع أن يكون للأحداث السياسيّة الكبيرة، كالحرب، تأثير على تحليل القضايا السياسيّة لدى المواطنين ولدى متّخذي القرارات على حدّ سواء، وبالتالي على أشكال مشاركتهم السياسيّة". أمّا الصحفيّ وديع عواودة فيتطرّق إلى دَوْر الإعلام العربيّ في تشكيل وعي الناخب العربيّ وسلوكه الانتخابيّ، ويَخْلص إلى أنّ "الإعلام العربيّ المحلّيّ ما زال ضعيفًا، وأنّ تأثيره على السياسة العربيّة على وجه العموم ضعيف، وهذا ينسحب على السلوك الانتخابيّ في انتخابات الكنيست. ونتيجة فقدان المعايير المهنيّة المفترَضة، جرى تكريس حالة العزوف عن الانتخابات في الشارع العربيّ".

***إيناس عودة-حاج** هي المديرة المشاركة في مركز مدى الكرمل.